الدرس الثاني

قِصةُ الخَلْق: تبدأ قصة الخلق عندما خلق الله أبا البشر آدم – عليه السلام – حيث خلقه الله من طين ، ثم نفخ فيه الروح ، وعلَّمه أسماء الأشياء ، وأمر الملائكة أن يسجدوا له ؛ زيادة في التكريم والتشريف ، فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر حسدًا لآدم ، فأهبطه الله من ملكوت السماوات ، وأخرجه ذليلًا مدحورًا ، وقضى عليه باللعنة والشقاء والنار.

وقد سأل إبليس ربه أن يُنظِرَه إلى يوم القيامة ، فأمهله الله ، فأقسم إبليس على أن يضل جميع بني آدم ، ويصرفهم عن الطريق الصحيح . ثم بعد ذلك خلق الله من آدم زَوْجَه حواء ؛ ليسكن إليها ، ويأنس بها ، وأمرهما أن يسكنا الجنة التي فيها من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر ، وأخبرهما – عز وجل – بعداوة إبليس لهما ، ونهاهما عن الأكل من شجرة من أشجار الجنة ؛ ابتلاءًا وامتحانًا ؛ فوسوس لهما إبليس ، وزين لهما الأكل من تلك الشجرة ، وأقسم لهما أنه لهما من الناصحين ، وقال : (إن أكلتما من هذه الشجرة كنتما من الخالدين).

فلم يزل بهما حتى أغواهما فأكلا من الشجرة وعَصَيا ربهما ؛ فندما على ما فعلا أشد الندم ، وتابا إلى ربهما ، فتاب عليهما ، لكنه أهبطهما من الجنة إلى الأرض ، وسكن آدم وزوجته الأرض ، ورزقه الله الذرية التي تكاثرت وتشعبت إلى يومنا الحاضر. ولا يزال إبليس وذريته في صراع دائم مع بني آدم ؛ لصدِّهم عن الهدى ، وحرمانهم من الخير ، وتزيين الشر لهم، وإبعادهم عما يرضي الله ؛ حرصًا على دخولهم النار في الدار الآخرة .

ولكن الله –عز وجل – لم يترك خلقه هملًا ، بل أرسل إليهم الرسل الذين يبينون لهم الحق ، ويرشدونهم إلى ما فيه نجاتهم. لما مات آدم عاشت ذريته من بعده عشرة قرون وهم على طاعة الله وتوحيده ، ثم حصل الشرك ، وعُبِد غير الله مع الله ، وبدأ الناس يعبدون الأصنام ؛ فبعث الله أول رسله ، وهو نوح – عليه السلام – يدعو الناس إلى عبادة الله ، ونبذ عبادة الأصنام.ثم تتابع الأنبياء من بعده يدعون إلى الإسلام ، وهو عبادة الله وحده ونبذ ما يُعبد من دونه. ثم جاء إبراهيم –عليه السلام – فدعا قومه إلى ترك عبادة الأصنام ، و إلى إفراد الله وحده بالعبادة ، و كانت النبوة من بعده لبنيه إسماعيل ، و إسحاق ، ثم كانت في ذرية إسحاق.

ومن أعظم الأنبياء من ذرية إسحاق يعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وداود ، و سليمان ، و عيسى عليهم السلام . ولم يكن بعد عيسى نبي من ذرية إسحاق.

وبعد ذلك انتقلت النبوة إلى فرع إسماعيل ؛ حيث اصطفى الله – عز وجل – محمدًا – ﷺ – ليكون خاتمًا للأنبياء، والمرسلين ، ولتكون رسالته هي الخاتمة ، وكتابه الذي أُنزل إليه ، وهو القرآن ، الرسالة الأخيرة للبشرية من ربهم.

ولهذا جاءت رسالته شاملة ، كاملة ، عامة للإنس والجن ، العرب وغير العرب ، صالحة لكل زمان ومكان وأمة وحال ؛ فلا خير إلا دلت عليه ، ولا شر إلا حذرت منه. ولا يقبل الله من أحد دينًا سوى ما جاء به محمد ﷺ.